الاوسط، «فان المناخ الذي اشاعه، ردحاً من الزمن، ما يطلق على تسميتهم بـ ' المستعربين' ، كان له تأثير قوي في تشكيل السياسة؛ بيد ان المحصلة النهائية كانت، في الاجمال، ضئيلة». وفي الاطار ذاته، ذكر ان وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، كان شكّل نقطة التقاء بين تيارين في صنع السياسة، «المستعربين» من جهة، و«الواقعيين»، من جهة اخرى[٢].

لقد وصل الرئيس المنتخب جورج بوش الى البيت الابيض في ظروف متميّزة. من الصعب الاشارة، هنا، الى مجمل التحديات التي كانت واشنطن تواجهها بينما الحملة الانتخابية على اشدّها. ولعلّنا نحسن التذكير ببعضها. لقد شعر عدد متزايد من الاميركيين بأن تغيّراً ما حصل في منطقة الشرق الاوسط[٣]، سارع في تكوينه، من دون تردّد، تفجّر الانتفاضة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة؛ كما سارع في تكوينه الترابط بين مجمل قضايا المنطقة، لبنان والنفط ووقف اطلاق النار في الخليج، في اطار الوفاق الدولي الجديد. ولم يكن اتساع جبهة التغيير واضحاً بهذه الحدّة، لولا القرار الاردني بفك العلاقة القانونية والادارية مع الضفة الفلسطينية.

من ناحية اخرى، تصاعد الشعور في الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفياتي قد استفاد، الى حد كبير، من مرحلة الوفاق. وان المخاطب السوفياتي قد أحسن استخدام الوفاق لمصلحته، فقنّن جهوده باتجاه جديد من نوعه في المعادلة العربية ـ الاسرائيلية، واصبح ينافس الولايات المتحدة، إن لم يكن، فعلياً، قد فاقها. والهدف السوفياتي المعلن من ذلك كله لم يعد احباط عملية السلام في المنطقة، وانما اصبح قائماً على اساس لعب دور «العرّاب» لموقف عربي موحّد على اساس جامع مشترك عملي يشكّل ورقة عربية، موازية، في اهميتها، للورقة الاسرائيلية في يد الاميركيين[٤].

وهنا، ايضاً، تجدر الاشارة، بقوة، الى المتغيرات على الصعيد الاوروبي. فعلى الرغم من ان المجموعة الاوروبية لم تشكّل، يوماً، وفق المصطلحات المتداولة، بلدان «الحل والربط»، غير انه استوجب، منذ العام ١٩٨٨، تصحيح هذا الحكم: فمن جهة، اعاد توقيع اتفاقيات الحدّ من الاسلحة الاستراتيجية بين العملاقين بعضاً من «الاطمئنان» النسبي الى الجسم الاوروبي، الذي كان يجد في مظلة واشنطن النووية درعاً «يحتمي خلفه من شبح الضربة السوفياتية الاولى»، مع ما استوجبته تلك الحماية من تهميش للقرار الاوروبي المخالف لقناعاته ومصالحه في المنطقة، لصالح هيمنة اميركية مطلقة. ان هذا الاطمئنان النسبي ولّد شعوراً اوروبياً ببعض الاستقلالية في القرار عن ايديولوجيا الحرب الباردة التي تبنّاها ريغان، منذ وصوله، في العام ١٩٨١، الى سدة الرئاسة، ممّا سمح لبعض بلدان تلك المجموعة المساهمة، بصورة فعّالة، في تنشيط فكرة المؤتمر الدولي للسلام، من منطلقات واهداف مغايرة لفكرة التفرّد الاميركي في اسلوب الحل[٥].

ثمّ هناك، اخيراً، الاطار الفلسطيني. لقد توالت التحديات في هذا الاطار، دون الشعور بأن لدى واشنطن القدرة على مواجهتها[٦]. ويمكن، على الارجح، اعتبار نهاية العام ١٩٨٧ نقطة البدء في تصاعد الشعور بأن الولايات المتحدة فقدت، تدريجاً، دورها كقوة مهيمنة في السياق الاقليمي الشرق اوسطي. هكذا بدأت خطط الادارة الاميركية بالتراجع النسبي، وبات في الامكان القول، ان المحرك الاساس لمبادراتها، في شهورها الاخيرة، كان تقليص وتحجيم الخسائر ما امكن ذلك، على ان لا يؤدي هذا الى الانهيار الشامل لبنية السياسة الخارجية الاميركية. وهذا هو الكابوس الذي هدّد ادارة الرئيس السابق ريغان، حيث لم يكن لديها من خيار سوى «شدشدة» مفاصل هذه السياسة، واعادة «تشميع» خيوط شبكة الهيمنة المهدّدة، لاكثر من سبب، بالتقطع والتمزق، حتى تتولى الادارة